٢ - السمئية

قسم المقدس طوائف الهنود إلى السمئية المعطلة والبراهمة الملحدة ، وقد نسب التناسخ إلى السمئية .

ولقد قال بعض شراح الفقه الأكبر المنسوب لأبى حنيفة بنسبة السمئية إلى نبيها « بوداسف » والذى تنسب إليه الصابئة أيضا[١] .

ولقد ذكرهم البغدادى فى « الفرق بين الفرق » وذكر أنهم من القائلين بالتناسخ، فقال : « فأصحاب التناسخ من السمئية قالوا بقدم العالم - وقالوا أيضا بإبطال النظر والاستدلال ، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس - وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت ، وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح فى الصور المختلفة ، وأجازوا أن ينقل روح الإنسان إلى كلب ، وروح الكلب إلى إنسان ، وزعموا أن من أذنب فى قالب ناله العقاب على ذلك الذنب فى قالب آخر ، وكذلك القول فى الثواب عندهم ، ومن أعجب الأشياء دعوى السمئية فى التناسخ الذى لا يعلم بالحواس ، مع قولهم إنه لا معلوم إلا من جهة الحواس[٢] .

ولقد جرت مناقشات بين السمئية وأوائل المعتزلة ، وأيضا نجد ردودا عليهم من الماتريدى الذى نسبهم إلى الدهرية ، وقولهم بقدم العالم ، وإنكارهم للخبر وللنظر وقصرهم المعرفة على الحس فقط[٣] ، كذلك القاضى عبد الجبار فى الجزء الخامس من كتابه المغنى ، حيث رد على إنكارهم للخبر .

* * *

(١) د. على سامى النشار : نشأة الفكر جـ ١ ص ٢٢٠ .

(٢) البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٣) الماتريدى : التوحيد ص ١٥٢ - ١٥٣ .

٣ - البراهمة

البراهمة : اسم يطلق على رجال الدين الذين يعتقد أنهم يتصلون فى طبائعهم بالعنصر الإلهى ، وهم لهذا كهنة الأمة ولا تجوز الذبائح إلا فى حضرتهم وعلى أيديهم .

وهى مشتقة من كلمة براهما أو براهمان ، وهى كلمة تستعمل بمعنى التبتل ، وبمعنى الشعار الدينى ، والصلاة ، والترنيمة الدينية وفى عصور متأخرة أطلق على الكاهن أو القسيس اسم براهمان ، وقد يكون السبب فى ذلك أن الكاهن عابد متبتل، أو مؤلف للترنيمات الدينية[١] .

ويذكر ابن حزم أن البراهمة هم قبيلة بالهند ، فيهم أشرف أهل الهند ، ويقولون إنهم من ولد برهمى ملك من ملوكهم قديم ، ولهم علامة ينفردون بها وهى خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف ، وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم ينكرون النبوات[٢] .

وعلى هذا فإن البراهمة طبقة متميزة ، فهم كما يذكر عنهم البيرونى نقاوة الجنس وخيرة الأنس ، وهم قد خلقوا من رأس « براهم » ، وغيرهم من الطبقات فهم دونهم كطبقة « كشتر » والتى خلقت من مناكب براهم ويديه ورتبتهم دون رتبة البراهمة ، ودونهم طبقة ابيش « خلقوا من رجلى براهم »[٣] .

ولقد قسم الشهرستانى البراهمة إلى فرق ، منها أصحاب البددة ، ومعنى البد عندهم شخص فى هذا العالم لا يولد ، ولا ينكح ، ولا يطعم ، ولا يشرب ، ولا يهرم ، ولا يموت ، وأول « بد » ظهر فى العالم اسمه « شاكمين » وتفسيره : السيد الشريف - ودون مرتبة البد مرتبة « البوديسمية » ومعناه الإنسان الطالب سبيل الحق ،

---

(١) د. أحمد شلبى: أديان الهند الكبرى ص٤٣، حامد عبد القادر : بوذا الأكبر ص ١٦ .

(٢) ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل جـ ١ ص ٢٩ .

(٣) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقوله ص ٧١ ، والإمام محمد أبو زهرة : الديانات القديمة ، ص ٤٥ - ٤٨ .

وإنما يصل إلى تلك المرتبة بالصبر والعطية ، وبالرغبة فيما يجب أن يرغب فيه ، وبالامتناع عن الدنيا والعزوف عن شهواتها ولذاتها وأن يتحلى بالصفات الأخلاقية الحميدة ، ويتخلى عن الصفات المذمومة ، وأن يستكمل صفات الخير ويتجه بكليته إلى الحق .

وأيضا منهم أصحاب الفكر والوهم ، وهؤلاء يعظمون الفكر ، ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول ، فالصور من المحسوسات ترد عليه ، والحقائق من المعقولات ترد عليه أيضا ، وهم يجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضات البليغة ، والاجتهادات المجهدة ، حتى إذا تجرد الفكر عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم ، فربما يعبر عن مغيبات الأحوال ، وربما يقوى على حبس الأمطار ، وربما يوقع الوهم على رجل حى فيقتله فى الحال ، ولا يستبعد ذلك ، فإن للوهم أثرا عجيبا فى تصريف الأجسام والتصرف فى النفوس .

وأيضا منهم أصحاب التناسخ ، ويذكر الشهرستانى أن تناسخية الهند أشد الناس اعتقادا فى التناسخ[1] .

أما تقسيم الباقلانى لهم فإنه يقسمهم على أساس موقفهم من الرسل ، فيقسمهم إلى فرقتين ، فمنهم قوم جحدوا الرسل وزعموا أنه لا يجوز فى حكمة البارى وصفته أن يبعث رسولا إلى خلقه ، وأنه لا وجه من ناحيته يصح تلقى الرسالة عن الخالق ، والفريق الآخر قال : إن الله ما أرسل رسولا إلى خلقه سوى آدم ، وكذبوا كل مدع للنبوة سواه ، وقال قوم منهم ، بل ما بعث الله غير إبراهيم وحده ، وأنكروا نبوة من سواه[2] .

أما الاسفراينى فيذكر أنهم ينكرون جميع الأنبياء[3] ، وأيضا يذكر البيرونى قولهم بالاستغناء عن الرسل[4] .

أما ابن الجوزى فيذكر عن أبو محمد النوبختى فى كتابه الآراء والديانات أن قوما من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار ، وزعموا أن رسولهم

---

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٣ ص ٩٧ - ١٠٠ .

(٢) الباقلانى : التمهيد ص ١٠٤ .

(٣) الاسفراينى : التبصير فى الدين ص ٨٩ .

(٤) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٧٥ .

ملك أتاهم فى صورة البشر من غير كتاب ، لكنهم يصورونه صورة غير عادية ، فله أربعة أيد واثنا عشر رأسا من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس خنزير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات ، وأنه أمرهم بتعظيم النار ، ونهاهم عن القتل والذبائح والكذب وشرب الخمر ، وأباح لهم الزنا ، وأمرهم أن يعبدوا البقر ، ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ، ثم يذهب فيسجد لبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها[1] .

ووفقا لهذه الروايات المتنوعة عن لبراهمة وموقفهم من الرسل ، يمكن القول أن البراهمة أقوام متعددة ، ينكر معظمها جميع الرسل ، ومن بينهم من يقول برسول واحد هو آدم أو إبراهيم أو ملك يضيفون عليه صورة غير عادية ، وهذا أيضا يعنى أنكار بقية الرسل .

ولقد ذكر معظم المتكلمين حجج البراهمة فى إنكار الرسل وردوا عليها ، ويمكننا أن نشير بإيجاز إلى مجمل هذه الحجج ، أما الرد عليها فسوف نذكره عند التعرض لموقف المتكلمين .

● **الحجة الأولى** : تقوم على أن الرسل تأتى بما يخالف العقول ، فالرسل تخبر عن الله بإباحة ما تحظره العقول من إيلام الحيوان وذبحه وسلخه وتسخيره وغير ذلك ، مما يجرى مجراه ، والحكيم لا يحوم أن يبيح ما تحظره العقول ، ولا أن يبعث من يتكذب عليه فى إطلاق ذلك وإباحته ، وهذا يعنى أنهم ليسوا من عند الله[2] .

وأيضا يوردون دليلا آخر على أن الرسل تأتى بما يخالف العقول ، يعتمدون فيه على القول بأن العلوم لا تتناقض ولا تختلف ، وكذلك الأدلة لأنها طرق العلوم ، فلو تناقضت واختلفت ، لأوجب ذلك تناقض العلوم ، ولأوجب ألا يرثق بها وبالعلوم ، وإذا كان الأمر كذلك فإنه يستحيل أن تسكن النفس إلى معلوم ولا علم .

فإذا صح هذا ، وعلمنا أن بعثة الرسل تقتضى تعرف أمور من قبلهم مخالفة لما فى العقول لانكم قد دللتم على أنه تعالى لا يجوز أن يبعثهم بنفس ما فى العقول ، على طريق التأكيد أو التنبيه والتحذير ، فيجب أيضا فساد القول ببعثهم ، لأن بعثهم مخالفة للعقول ، والبعثة طريق المعرفة ، والعقل هو العلوم ، فكيف يصح أن يخالف

(١) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٦٥ .

(٢) الباقلانى : التمهيد ص ١١٤ - الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٣ ص ٩٦ .

أحدهما الآخر ، ولو لم يكن من الاختلاف إلا أن العقل قد اقتضى ألا يجب تصديقهم وبعثتهم عندكم ، تقتضى وجوب تصديقهم ، واقتضى العقل قبح اعتقاد ذلك ، والسمع اقتضى وجوبه ، فكان الرسول المبعوث ، فى أول أمره أوجب علينا خلاف ما فى العقول ، فكيف يصح القول بأن الحكيم يبعث الرسل وحالهم هذه[١] .

● **الحجة الثانية** : تعد هذه الحجة نتيجة مترتبة على الحجة الأولى ، وذلك لأنهم قالوا لو صح أن السمع يوجب مالا يوجب العقل ، ويقبح ما يحسن فيه ، لجاز أن يحسن بالسمع الكذب ، وإن قبح فى العقل ، وإن جاز أن يقبح بالسمع المنافع واللذات ، لجاز أن يقبح بالسمع شكر النعمة واجتلاب المنفعة ، فلما امتنع ما قلناه من حيث يوجب خلاف ما فى العقول ، . فكذلك القول فى سائر الشرائع[٢] .

● **الحجة الثالثة** : تقوم على أن فى العقل غنى عن الرسالة ، فقالوا إن كان ما يرد به السمع لابد منه ، فلا يجب ألا يمتنع منه تعالى أن يعرفنا بالعقل ، لأنه أوكد فى طريق العلم والمعرفة ، وأن نستغنى عن بعثة الأنبياء ، سيما وفى طريق معرفة نبوتهم وشرائعهم من الشبه ما ليس فى العقل وأدلته ، ولا يجوز من الحكيم أن ينزل بالمكلف عن طريق القوى فى المعرفة إلى الطريق الضعيف ، وذلك يوجب الغنى عن بعثة الرسل وأن تقبح بعثتهم[٣] .

أى أن طريق العقل أقوى من طريق الأنبياء ، وفيه الغنى عن الأنبياء ، لأنهم لو جاءوا بما يخالف العقل لم يقبل ، وإن جاءوا بما يوافق العقل ، فالعقل يغنى عنهم[٤] .

● **الحجة الرابعة** : تقوم على الاعتراض على أن الرسول من جنس البشر الذى أرسل إليهم ، وأن جوهرهما واحد وأن تفضيل أحد المتماثلين المتساويين على مثله ونوعه ومن هو بصفته ضعف ومحاباة وخروج عن الحكمة ، وغير جائز على القديم[٥] وقد وردت هذه الحجة على لسان الصابئة .

---

(١) القاضى عبد الجبار : المغنى جـ ١٥ ص ١١٧ .
(٢) القاضى عبد الجبار : المغنى جـ ١٥ ص ١٣٩ .
(٣) القاضى عبد الجبار : المغنى جـ ١٥ ص ١٣٩ .
(٤) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٦٧ .
(٥) الباقلانى : التمهيد ص ١٠٤ ، والشهرستانى : الملل والنحل جـ ٣ ص ٩٦ .

ويقولون باعتراض آخر يقوم على بشرية الرسول ، قياسا على ما يتم فى الشاهد، أن الرسول يكون من جنس المرسل ، فلما لم يجز أن يكون القديم من جنس المخلوق ، ثبت أنه لا يجوز أن يرسل رسولا إلى خلقه[١] .

● **والحجة الخامسة** : تقوم على الاعتراض على المعجزات التى يأتى بها الأنبياء كدليل على صدقهم ، لأن هذه المعجزات محالة وممتنع وجودها فى العقل ، وإذا كان ذلك كذلك بطل ما يدعونه[٢] .

● **الحجة السادسة** : تقوم على ستحالة أن يرسل الله تعالى الرسل إلى من يعلم أنهم يكفرون به ، لأن ذلك سفه ، فلما لم يجز السفه على القديم ، لم يجز أن يرسل الرسل إلى من حالهم ما وصفناه[٣] .

● **الحجة السابعة** : تقوم على الاعتراض على العبادات والشعائر التى أمر بها الدين، وجاءت على لسان الرسل ، كقبح السعى بين الصفا والمروة والطواف بالبيت وتقبيل الحجر والجوع والعطش فى أيام الصيام ، والمنع من فعل الملاذ التى تصلح للأجسام ، وأنه لا فرق بين البيت الحرام وبين غيره ، وبين الصفا والمروة وبين سائر البقاع ، وبين عرفة وبين غيرها ، فثبتت أن ذلك أجمع ليس من أوامر الحكيم[٤] .

تلك هى أهم حجج البراهمة لإنكار النبوة ، سقناها بإيجاز ، وهى جميعها تقوم على الاكتفاء بالعقل وإنكار ما دون ذلك .

التناسخ : من أهم عقائد البراهمة هو القول بتناسخ الأرواح ، والتناسخ هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى العالم الأرضى فى جسم آخر .

وهذا يقضى بأن كل نفس من النفوس الجزئية تسلك فى رحلتها إلى العالم العلوى مراحل متوالية ، فتنتقل من جسد إلى آخر ، وتتحول من حالة إلى أخرى ، وهذا يعنى تكرار مولدها مرة بعد أخرى ، وأن تحيا حياة بعد حياة .

ولقد قال البراهمة بالتناسخ ، فلقد ذكر البيرونى من أقوال « باسديو » ،لـ « أرجن » وهو يحرضه على القتال ما يفيد ذلك فيقول : « كيف يذكر الموت والقتل

---

(١) الباقلانى : التمهيد ص ١٠٧ .

(٢) الباقلانى : التمهيد ص ١١٢ .

(٣) الباقلانى : التمهيد ص ١١٨ .

(٤) الباقلانى : التمهيد ص ١١٩ ، ١٢٠ .

عرف أن النفس أبدية الوجود » لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم ، بل هى ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها ولا نار تحرقها ولا ريح تيبسها ، لكنها تنتقل عن بدنها إذا أعتق نحو آخر ليس كذلك، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق ، فما غمك لنفس لا تبيد ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود ، فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده ، فكل مولود ميت وكل ميت عائد ، وليس لك من كلا الأمرين شيء ، إنما همنا إلى الله الذى منه جميع الأمور وإليه تصير »[1] .

ويدلل البراهمة على التناسخ ، ويربطون بينه وبين حركات الأفلاك الدورية ، ويمثلون الدنيا بحركات الأفلاك « فإذا كانت حركات الأفلاك دورية ، فلا محالة يصل رأس الفرجار إلى ما بدأ دورة ثانية على الخط الأول ، أفاد لا محالة ما أفاد الدور الأول ، إذ لا اختلاف بين الدورين حتى يتصور اختلاف بين الاثنين ، فإن المؤثرات عادت كما بدأت ، والنجوم والأفلاك دارت على المركز الأول ، وما اختلفت أبعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه ، فيجب أن لا تختلف المتأثرات الباديات منها بوجه ، وهذا هو تناسخ الأدوار والأكوان »[2] .

وأيضا يقول البراهمة بسبب أخلاقى للتناسخ ، فهو يكون لتطهير الروح التى خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات ومرتبطة بالعالم المادى لم تتحقق بعد، ولأنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة فى علاقاتها مع الآخرين لابد من أدائها ، فلا مناص من أن تستوفى شهواتها فى حيوانات أخرى ، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التى قامت بها فى حياتها السابقة .

وعلى هذا فالروح الجزئية لا تفنى ، لكنها تنتقل من جسد إلى آخر ، ويتوقف سموها فى فترة ما من فترات حياتها على سلوكها فى الفترة السابقة ، فسلوك الإنسان فى فترة ما هو الذى يترتب عليه ما تحظى به روحه من رقى يسمو فى الفترة التالية .

فلا تزال الأرواح الباقية تتردد فى الأبدان البالية ، ولا يزال تكرار المولد ، حتى إذا اكتملت الميول ولم يبق للإنسان شهوة ما ، وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثما ، وحرص على الاستكثار من الخير ، وبالغ فى الابتعاد عن الشر ، نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد ، امتزجت بالبرهما واتحد العقل والعاقل والمعقول ويصير

(١) البيرونى : تحقيق ما للهند ص ٤٠ .

(٢) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٣ ص ١٠٠ .

واحـدا ، وعلى هذا فإن السمو الروحانى ينتهى باتصال النفس الجزئية بالنفس الكلية .

وعلى هذا فإن مبدأ التناسخ يتصل بمبدأ الجزاء ، ويرتبط بمبدأ « الكارما » عندهم وهو مبدأ يقوم على ارتباط السبب بالمسبب أو العلة بالمعلول ، والجزاء بالعمل، لذا جاء فى كتاب « الأوبانيشادات » أن من يخلق فى نفسه شهوات فسوف يولد مرة أخرى متلبسا بتلك الشهوات ، ولكن من تمحق رغباته ، ويشعر بوجود نفسه الحقيقية فسوف تنصرف عنه جميع الرغبات حتى فى هذه الحياة الدنيا ، وأن كل شخص فى هذه الحياة ينطوى على رغبات ، وكما تكون رغبته تكون إرادته ، وكما تكون إرادته يكون عمله ، وما يعمل من عمل فسوف يجزى عليه ويجنى ثمرته .

وأيضا يذكر البيرونى ما جاء فى كتاب « سانك » أما من استحق الاعتلاء والثواب فإنه يصير كأحد الملائكة ، مخالطا للمجامع الروحانية ، غير محجوب عن التصرف فى السموات والكون مع أهلها ، وأما من استحق السفول بالأوزار والآثام فإنه يصير حيوانا أو نباتا ، ويتردد إلى أن يستحق ثوابا فينجو من الشدة ، أو يعقل ذاته فيخلى مركبه ويتخلص .

والتناسخ يعنى خلود الروح ، وعدم فنائها مع فناء البدن ، وأيضا حسابها على ما قدمت ، لكن الحساب يتم على الأرض فى هذه الحياة الدنيا ، وليس فى الآخرة كما تقول الأديان السماوية ، فالأرض عندهم دار جزاء وثواب[1] .

ويذكر ابن الجوزى كيفية التناسخ فيقول على لسان يحيى بن بشر بن عمير النهاوندى « بأن الهند يقولون : الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسلة ، فالمركبة هى الرب الأصغر ، والنفس هى الهيولى الأصغر ، والعقل هو الرب الأكبر ، والهيولى هو أيضا أكبر ، وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركبة ، فإن كانت محسنة صافية قبلها فى طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر ، فيتخلصه إلى الهيولى المركب ، فإن كان محسنا تام الإحسان أقام عنده فى العالم البسيط ، وأن

---

(١) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٩ - ٤٨ ، وأيضا د. أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ص ٦٧ - ٦٩ ، وحامد عبد القادر ، بوذا الأكبر ص ٢٠ - ٢١ ، الإمام محمد أبو زهرة الأديان القديمة ص ٤٩ - ٥٠ .

كان محسنا غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ، ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر، ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى الرب الأصغر ، فيخرجه مازجا لشعاع الشمس حتى ينتهى إلى بقلة خسيسة يأكلها الانسان ، فيتحول إنسانا ويولد ثانية فى العالم ، وهكذا تكون حاله فى كل موتة يموتها .

وأما المسيئون فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر ، انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم ، فتصير الروح فى بهيمة ، ثم تنسخ من بهيمة إلى أخرى عند موت البهيمة فلا يزال منسوخا مترددا فى العلل ، ويعود كل ألف سنة إلى صورة الأنس ، فإن أحسن فى صورة الإنس لحق بالمحسنين[1] .

ومن هذا يتضح أن كيفية التناسخ تأخذ صورا متنوعة فقد تكون فى إنسان أو حيوان أو حتى نبات ، لكن يبدو أن هذه الكيفية لم تكن واضحة عند كل البراهمة ، ففى دراسة حديثة تستند إلى نصوص باللغة الشرقية تؤكد عدم قول البراهمة بالتناسخ بمفهومه المصطلح عليه وهو أن تحل الأرواح فى صورة حيوانات ، ففى هذه النصوص عبارات تفيد أن الروح لا تنتقل من بدن إلى بدن آخر ، ولكنها بعد أن تنال نصيبها من النعيم أو الجحيم تولد من جديد ، ولم تبين هذه النصوص محل هذه الولادة ، لكنها ذكرت أن هذه العملية تتكرر دون أن تصف المحل الذى تحل به الروح ، وغاية الأمر أن عملية تكرار نعيم الروح أو عذابها ثم ولادتها من جديد لها نهاية هى أن الروح تتصل منفردة بربها ، فتعرف حقيقتها وعندئذ يكتب لها الخلود والبقاء[2] .

وهذا لا ينفى مبدأ التناسخ ، وإنما يجعل كيفية التناسخ مجهولة دون تحديد ، إذ أن هذه النصوص تقر بمبدأ ولادة الروح من جديد ، وتكرار المولد وهذا هو التناسخ ، بينما لا تحدد محل هذه الولادة .

● **تأثير النجوم - أصل العالم :**

والبراهمة تقول بتأثير النجوم فى حياة الإنسان من حيث السعادة والشقاء ، ويعدون « زحل » السعد الاكبر ، وذلك لرفعة مكانه وعظم جرمه ، وهو الذى يعطى العطايا الكلية من السعادة والجزئية من النحوسة ، وكذلك سائر الكواب لها طبائع

---

(١) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٨٠ .

(٢) د٠رؤوف شلبى : الأديان القديمة فى الشرق جـ ٢ ص ١٠٨ - ١١١ .

وخواص[1] ، ولقد سبقت الإشارة إلى قياسهم التناسخ على حركات الأفلاك الدورية ، وقولهم بأن الدنيا وهى أثر من اثار النجوم والأفلاك ، مثل حركات النجوم والأفلاك ذات حركات دائرية ، وفى هذ إشارة إلى أثر النجوم فى العالم .

ولقد ذكر البيرونى قولهم فى قدم العالم ، فهم يرون أن أول شىء وأقدمه : الظلمة التى ليست السواد وإنما هى عدم ، كحال النائم ، ثم خلق الله هذا العالم لأجل ابراهم ، قبة له ، وجعله قسمين : أعلى وأسفل ، وأجرى فيه الشمس والقمر ، وقال « كبل » لم يزل الله والعالم معه بجواهره وأجسامه ، لكنه علة للعالم ويستعلى بلطفه على كثافته ، وقال « كنبهك » إن القديم هو « مهاموت » ، أى مجموع العناصر الخمسة ، وقال غيره القدمة للزمان ، وقال بعضهم للطباع ، وزعم آخرون أن المدبر هو « كرم » أى العمل

والبراهمة لا تعنى بالخلق الإبداع من لا شىء ، لكنهم يصفون به الصنعة فى الطينة وإحداث تأليفات فيها وصور وتدابير مؤدية إلى مقاصد فيها وأغراض ، ولذلك يضيفون الخلق إلى الملائكة والجن بل الإنس أما قضاء لحق منعم ، وأما تشفيا بسبب الحسد والتنافس بينهم[2] .

وبينما يؤكد البيرونى فى نصه السابق قولهم بقدم العالم ، نجد إشارة عابرة ذكرها الاسفراينى تخالف ذلك ، اذ قال إنهم يقولون بحدوث العالم[3] . والذى يبدو لنا صحيحا هو قول البيرونى اذ أن روايته أوثق لأنه عاش بين ظهرانيهم مدة طويلة ، وتعرف إلى أديانهم واطلع على كتبهم ، وذكر تفصيلات أقوالهم ، بينما لم ترد عبارة الاسفراينى عن مجرد الاشارة وربما خلط بين قولهم بخلق الله للعالم وبين القول بالحدوث ، اذ أن الخلق والحدوث متلازمان عند المتكلمين ، ولعله وقف على قولهم بخلق الله للعالم ولم يقف على قولهم بقدم العالم .

ثم إن قولهم بتأثير الأفلاك والنجوم ، وحركاتها الدورية ما يفيد القول بقدم العالم .

* * *

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٣ ص ٩٨ .

(٢) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٢٤٤ .

(٣) الاسفراينى : التبصير فى الدين ص ٨٩ .